المبحث الرابع

موقف اليهود من دعوة المسيح السَّلام

لقد حذَّر يسوع تلاميذه في أكثر من موضعٍ من الأناجيل، من اليهود الَّذين ناصبوه العداء بسبب دعوته الَّتي جاءت تخالف كثيرًا ممَّا ألِفوه من شرائع وعاداتٍ كانوا قد حرَّفوها عن شريعة موسى عليه السلام. وكان اليهود - ولا يزالون - يظنُّون أنَّهم شعب الله المختار بالرَّغم ممَّا جرَّ عليهم هذا الظَّنُ من ويلاتٍ جعلتهم يتشتَّتون في أنحاء العالم لا وطن لهم، وكانوا يعاملون أينما حلُّوا معاملة الغريب المنبوذ.

وكانوا يحلمون بالقدس الَّتي يسمُّونها (صهيون) أو الأرض الموعودة، ومنها كلمة (الصَّهيونية) أي: النِّداء الماضي للعودة إلى القدس.

وكانوا في العصر الَّذي ولد فيه المسيح عليه السلام يشكِّلون طوائف مختلفة في معتقدها ومذهبها، والكلُّ كان في انتظار المسيح المخلِّص الموعود.

ومـــن تلك الطَّوائـــف: **الصَّدُوقِيُّونَ**، وقد كانوا متشـــدِّدين في إنكار البدع والتَّفســـيرات متشـــبِّثين بالقديم، يؤيِّدون سلطان الهيـــكل والكهَّـــان؛ لأنَّهـــم علـــى الجملـــة أنصار المحافظة والاســـتقرار وأصحاب الوجاهة والثَّراء. وهـــم على العموم حَرْفِيُّونَ في مسائل الدِّين، متساهلون في مسائل المعيشة، ومن الوجهة المســـيحية (هم أقوام كفرة لا يؤمنون بوجود الملائكة والشَّياطين، وينكرون خلود النَّفس وقيامة الأموات)[1].

الطائفة الثانية: (الفَرِيسِيُّون) وتعني: المتميِّزون الَّذين ينكرون على الكهان استبدادهم بالشَّعائر، والمراسم، وكانوا أقرب إلى تحكيم العقل في مسائل النصوص والتقاليد، وكانوا أقرب إلى الرُّوحانية والآداب النَّظرية على عكس الصَّدوقيين.

وهم في تعريف المســـيحيين: (طائفة من اليهود جامعين للرِّياء والعنف، وكانوا يقولـــون: إنَّ الدِّين والعبادة في الأمور الظَّاهرة لا غير، ويفسدون شريعة الله بتفاسيرهم الباطلة)[2].

---

(١) راجع الكتاب المقدَّس (العهد الجديد) حواشي على المجلَّد الثَّالث إنجيل متى الفصل الثَّالث.

(٢) المصدر نفسه.

والطائفة الثالثة: هي طائفة (**الآسِيِّن**) مأخوذ من كلمة (آسي) بمعنى الطَّبيب، وهم طائفة إسرائيليةٌ صميمةٌ قد استقلَّت بشعائرها وعبادتها وآرائها وأسرارها، وأوشكت أن تستقلَّ عن الهيكل كلِّه لولا القرابين.

والطَّائفة الرابعة: هي طائفة (**السَّامريون**) وهم خليطٌ من اليهود والآشوريين، يرى المسحيون (أنهم لا يُعدُّون من اليهود ولا من الأمم، ولكنَّهم يعبدون الله في هيكلٍ بنوه على جبل (حرزيم) ولذلك كانت بينهم وبين اليهود عداوة)[1].

ولقد حذَّر المسيح تلاميذه من تعاليم الفريسيين والصَّدوقيين الَّذين اعتبرهم جيلاً شريراً فاسقاً[2]، وحذَّرهم من أن يتجهوا في تبشيرهم إلى مدن السَّامريين، وألا يدخلوها[3]. وقد تآمرت هذه الطوائف اليهودية جميعها ضدَّ المسيح وتعاليمه، وقد جاء في بعض الأناجيل الرَّسمية صور لمشادات عنيفة وقعت بين المسيح وبعض فرق اليهود.

---

(١) المصدر نفسه، إنجيل متى الفصل العاشر.

(٢) إنجيل متى: ١٦/ ٥.

(٣) إنجيل متى: ١٠/ ٥.

منهـــا مثلاً ما ذكره (متى) في إنجيله من أنَّ الكَتَبَةَ[1] اتَّهَمُوهُ بالتجديف، وهو الكفر بالنِّعم عندما رأوه يُبْرِئُ مُقْعَداً، وَيغْفِر له خطاياه (فقال لهم: لماذا تفكِّرون بالشَّر في قلوبكم)[2].

والفريسيون انتقدوه عندما رأوه يأكل مع العشَّارين - الَّذين يجمعون الضَّرائب للدَّولة - والخطأة، فوبَّخهم المســيح على قولهم، وأكَّد لهم أنَّه لم يأتِ ليدعو صدِّيقين، بل خطأة[3].

واليهود يحرِّمون العمل في السُّــبوت مدَّعين أنّه يوم راحة الله بعد أن فرغ من الخلق، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون. وفي أحد السُّــبُوت اجتاز المســيح بين الزُّروع (فجاء تلاميذه، فجعلوا يقلعون سنبلاً، ويأكلون، فلمَّا رآهم الفريسيون قالوا له: هؤلاء تلاميذك يفعلون ما لا يحلُّ أن يفعل في السَّــبت) فأكَّد لهم أنَّ داود قبله فعل ذلك.

ثمَّ بعد أن جاء إلى مجمعهم (وإذا رجلٌ يده يابسة، فسألوه قائلين: هل يحلُّ أن تُشْفِي في السَّــبت لكي يَشكُوه) فأكد لهم

(١) هم الهيئة الرَّســمية التي تعلِّم الدِّين، وتشــرح التَّقاليد، وتجلس في كرسي القضاء في المجامع الأقليمة الدِّينية، وكان اليهود يرجعون إلى هؤلاء في عظيم الأمور، ويسيرها، ويسمُّون النَّاموسيين؛ لأنّهم ينسخون النَّاموس (راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة، فتحي عثمان ص: ٦٤).

(٢) متى: ٩.

(٣) متى: ٩.

أنَّه يحلُّ فعل الخير في السَّبت، واتَّهمه الفريسيون بأنَّه يُخْرِجُ الشياطين ببَعْلِ زنوب رئيس الشياطين، عندما رأوه أبرأ مجنوناً أعمى وأخرس، فتكلَّم وأبصر، فأكَّد لهم أنَّه يفعل ذلك بروح الله، وحدَّثهم قائلاً: (يا أولاد الأفاعي، كيف تقدرون أن تتكلَّموا بالصَّالحات، وأنتم أشرار، وإنَّما يتكلَّم الفم من فضل ما في القلب)، وطلب مِنه الكَتبة والفريسيون أن يريهم آية (فأجابهم قائلاً: إنَّ الجيل الشَّرير الفاسق يطلب آية، فلا يعطى آية...)[1].

وفي مرَّةٍ سألوه قائلين: (لِمَ تلاميذك يتعدَّون سنَّة الشّيوخ، فإنَّهم لا يغسلون أيديهم عند تناولهم الخبز) فأجابهم بأنَّهم قد أبطلوا وصية الله من أجل سنَّتهم، واتّهمهم بأنَّهم مراؤون، وحذَّر تلاميذه منهم قائلاً: (اتركوهم، فإنَّهم عُمْيَان، قادة عُمْيَان وإذا كان أعمى يقود أعمى، فكلاهما يسقطان في حفرة)[2].

وفي أورشليم، عندما دخل يسوع الهيكل (أخرج جميع الَّذين يبيعون، ويشترون في الهيكل، وقلَّب موائد الصَّيارفة وكراسي باعة الحَمَام، وقال لهم: مكتوبٌ: بيتي بيت صلاة يُدْعَى، وأنتم جعلتُموه مغارة للِّصوص[3].

(١) إنجيل متى: ١٢.
(٢) إنجيل متى: ١٥.
(٣) إنجيل متى: ٢١.

يقول صاحب كتاب حياة يسوع:

(وكانت مطامع رجال الكهنـــوت قد حوَّلت الهيكل إدارة لتبادل النُّقود، والفناء الخارجي له ســـوقاً للماشـــية، وكان كلُّ شيء مُغرياً للكسب والرِّبح، ونال الهيكل نصيبٌ كبيرٌ من هذه الأرباح المادية الغادرة، فزادت بذلـــك إيراداته. وعندما قلب يسوع الموائد والكراســـي، وثار ثورته العارمة على الصَّيارفة والباعة، شـــعر قـــادة الهيكل بإســـاءة أليمةٍ، وأصاب ســـلطة الفريسيين تحدٍّ ظاهر أمام الملأ، وبانت عورات تجارة الكهنة وجريهم وراء المادة.

ونعتقد أنَّ يســـوع المســـيح قد قضى على نفسه علميّاً في أورشليم في ذلك اليوم، وعرف هو نفسه ذلك، فإنَّه بعد سنتين في مثل هذا الوقت تآمروا عليه في هذا المكان عينه لقتله)[1].

مؤامرة اليهود ضدَّ يسوع:

لقد جاء عيســـى بني إسرائيل بالتَّوحيد الخالص أن اعبدوا الله، ولا تشـــركوا به شـــيئاً، ثم هو يعظهـــم، ويذكِّرهم الخير،

(١) كتاب حياة يسوع، بترسون سميث ترجمة حبيب سعيد ص:٨٢، ٨٣.

ويدعوهم إلى الاستقامة في المعاملات، غير أنَّ النَّصارى اليوم لا يحصرون رسالة عيسى في ذلك، بل منهم من يعتقد شركاء لله، وهو ما يسمَّى الثالوث المقدَّس: (الأب والابن والرُّوح القدس)، ثلاثة في واحدٍ وواحد في ثلاثة. وهي لعمري معادلة صعبة في الفهم وفي التَّطبيق، ولا يؤمن بها إلا مغالطٌ أو معتوه.

ولما كان بنو إسرائيل قد طال عليهم الأمد بعد موسى وشريعته، فقست قلوبهم يحرِّفون التَّوراة عن مواضعها يزيدون فيها، ويُنقصون، ظهرت بذلك شرائع جديدة ممسوخة ليست من شريعة موسى، واختفت شرائع أخرى، فحادوا عن الطّريق المستقيم، وغدوا بين إفراطٍ وتفريطٍ.

فمن إفراطهم أنَّهم كانوا يتحرَّجون من عمل الخير في السُّبُوت باعتباره يوم عطلة الله لايجوز العمل فيه معتمدين في ذلك على ما جاء في (العهد العتيق) (وبارك الله اليوم السَّابع، وقدَّسه؛ لأنَّه فيه استراح من جميع عمله الَّذي خلقه الله ليصنعه)[1].

(١) العهد العتيق، المجلّد الأوَّل، سفر التَّكوين: ٢/ ٣ (لاحظ تركيب العبارة).

وشـــريعة موســـى كانت تنصُّ على الكفِّ عـــن الأعمال الدُّنيوية البحتة، وأمَّا أفعال الخير فلا حرج فيها، وليســـت من الأفعال المنهي عنها في أيام السَّبت[1].

ومـــن تفريطهم معاداة كلَّ من خالفهم في القول أو العمل، حتَّى إن كان قوله أو عمله على هديٍ وبموجب أحكامٍ وشرائع من الله. فكان أن عادوا المســـيح عليه السلام معادةً شديدةً أفضت في النهاية إلى محاولتهم صلبَه وقتلَه.

وقد اتَّهمـــه اليهود بالثَّورة ضدَّ الملـــك، وبأنّه غير متديِّن، وأنَّه متعدٍّ على يوم السَّبت، وأنَّه لا يحافظ على تعاليم النَّاموس والتَّقاليد، وأنَّه غيـــر مُوال للجماعة اليهوديـــة، وأنَّه لا يحفظ الأصوام، وأنَّه يجري معجزاته عن طريق الشَّيطان[2].

وقد تنبَّأ المسيح نفسه بمصيره على يد اليهود، يقول (متى): (ومن ذلك اليوم بدأ يسوع يبيِّن لتلاميذه أنَّه ينبغي أن يمضي إلى أورشليم، ويتألم كثيراً من المشـــايخ ورؤساء الكهنة، ويقتل، ويقوم في اليوم الثَّالث)[3].

---

(١) راجع كتاب: قصص الأنبياء لعبدالوهاب النَّجار، ط٣، مكتبة وهبة، ص: ٣٩٢.
(٢) راجع كتاب: حياة يسوع، بترسون سميث ص: ١٦١.
(٣) إنجيل متى: ١٦/ ٢١.

(وفيما كان يسوع صاعداً إلى أورشليم أخذ الاثني عشر تلميذاً على خَلوةٍ في الطريق، وقال لهم: ها نحن أولاء صاعدون إلى أورشليم وابن البشر سيُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلِّمونه إلى الأمم لكي يهزؤوا به، ويجلدوه، ويصلبوه وفي اليوم الثَّالث يقوم)[1].

ويعتقد النَّصارى أنَّ حادثة إحياء يسوع لعازر، بعد أن مضى على موته أربعة أيام كانت هي الحادثة العلنية العظيمة الَّتي أدَّت إلى صلب يسوع نفسه في آخر الأمر، وهذه الحادثة لم يذكرها إلا (يوحنا) في إنجيله دون سائر الأناجيل الأخرى، وتتلخَّص فيما يأتي:

كان (لعازر) مرض مرضاً شديداً (وكان يسوع يحبُّ «مرتا» وأختها «مريم» و«لعازر» فلمَّا سمع أنَّه مريض لبث في الموضع الَّذي كان فيه يومين) بعدها توجَّه، ولكنَّه كان قد مات، (فلمَّا وافى يسوع وجد أنَّ له في القبر أربعة أيام، وكان كثيرون من اليهود قد جاؤوا إلى مرتا ومريم ليعزوهما عن أخيهما)، فلمَّا سمعتا بمقدم يسوع استقبلتاه (وقال: أين وضعتموه؟ فقالوا له:

(١) إنجيل متى: ١٠/ ١٧.

يا ربّ، تعال وانظر، فدمع يسوع، فقال اليهود: انظروا كيف كان يحَبُّه... فارتعش يسوع ثانية في نفسه، وجاء إلى القبر، وكان مغارة، وقد وضع عليه حجر، فقال يسوع: ارفعوا عليه الحجر... فرفعوا الحجر، فصرخ بصوتٍ عظيمٍ يا لعازر هلمَّ خارجاً، فخرج الميِّت ويداه ورجلاه مربوطات بلفائف ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع: حلُّوه، ودعوه يذهب، فآمن به كثيرون من اليهود الَّذين جاؤوا إلى مريم، ورأوا ما صنع، وذهب بعضهم إلى الفريسيين، وأخبروهم بما عمل يسوع. فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون المحفل، وقالوا: ما نصنع فإنَّ هذا الرَّجل يعمل آياتٍ كثيرة، وإن تركناه هكذا آمن به الجميع، فيأتي الرُّومانيون، ويستحوذون على أرضنا وأمَّتنا، فقال لهم واحدٌ منهم اسمه «قيافا» وكان رئيس الكهنة في تلك السَّنة: إنَّكم لا تعرفون شيئاً، ولا تعقلون أنَّه خيرٌ لكم أن يموت رجلٌ واحدٌ عن الشَّعب، ولا تهلك الأمَّة كلُّها.

ومن ذلك اليوم ائتمروا أن يقتلوه، وكان الرؤساء والفريسيون قد أمروا بأنَّه إن علم أحدٌ أين هو، فليدلَّهم عليه ليمسكوه)[1].

(١) إنجيل يوحنا: ١١.

(ولم يكن قد طرأ على أورشليم منذ سنواتٍ أزمةٌ حادة كهذه. فحضر جميع شيوخ السنهدريم، وكان الخوف قد ملأ كلَّ نفسٍ خشية أن تشمل نيران ثورة شعبية، وعلى رأسها يسوع في ذلك الظَّرف الدَّقيق الَّذي اجتمع فيه كلُّ الشَّعب اليهودي في عيد الفصح، وعندئذٍ تحلُّ الطّامة الكبرى ونفثت رومية سموم انتقامها، فتنهار سلطة رجال الدِّين، ويحرمون تلك الخيرات الوافرة الَّتي كانوا ينعمون بها. فقرَّروا: يجب أن يموت يسوع في غير إبطاءٍ سواء كان ذلك باغتياله سرّاً أم بمحاكمته قانوناً. وفي تلك القاعة قاعة المشورة الشريرة الخاسرة جلب رؤساء اليهود بقرارهم لعنةً على شعبهم، وفي شرِّهم وخبث قلوبهم أجروا، وهم لا يدرون مشيئة الله، من تلك السَّاعة حُكِمَ على يسوع بالموت، ولكن كان على السُّلطات أن تسير في حذر)[1].

ولمَّا علم يسوع بهذا القرار خرج إلى البرية (وقبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت «عنيا»[2]، حيث كان لعازر الَّذي مات، وأقامه يسوع من بين الأموات. وعلم جمعٌ كثيرٌ من اليهود أنَّ يسوع هناك، فجاؤوا لا من أجل يسوع فقط، بل لينظروا أيضاً

(١) راجع كتاب: حياة يسوع للدكتور بترسون سميث، ترجمة حبيب سعيد ص: ٢٧٤.
(٢) اسم قرية العازر تقع بين أريحا وأورشليم.

(لعازر) الَّذي أقامه من بين الأموات، فأتمر رؤســاء الكهنة أن يقتلوا (لعازر) أيضاً؛ لأن كثيراً من اليهود كانوا بسببه يذهبون، فيؤمنون بيســوع)[1]، (وكان الفِصح والفِطر بعد يومين، وكان رؤســاء الكهنة يلتمِســون كيف يمســكونه بمكرٍ، ويقتلونه، ولكنَّهم قالوا: لا في العيد لئلا يقع بلبال في الشَّعب.

وإنَّ يهوذا الإسخريوطي أحد الاثني عشر ذهب إلى رؤساء الكهنة ليســلِّمه إليهم، فلمَّا سمعوا فرحوا، ووعدوه أن يعطوه فضــةً، وكان يلتمس كيف يســلِّمه في فرصــة)[2]، (وفي أوَّل يومٍ من الفَطير دنا التَّلاميذ إلى يســوع قائلين: أين تريد أن نعدَّ لك الفِصح لتأكل)، فدلَّهم على مــكانٍ في المدينة، وهو بيت (مرقس) أبو (يوحنا). وفي المســاء حضر يســوع ومعه الاثنا عشــر تلميذاً، وفي أثناء تناولهم الطَّعام تنبَّأ بمصيره (وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً، وبارك وكسر وأعطى تلاميذه، وقال: خذوا، هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر، وأعطاهم، وقال: اشــربوا من هذا كلكم لأنَّ هذا هو دمي للعهــد الجديد الَّذي يُهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايــا)[3]، (ولكن التَّلاميذ حتَّى

(١) إنجيل يوحنا: ١٢.
(٢) إنجيل مرقس: ١٣.
(٣) إنجيل متى: ٢٦/ ١٧.

في تلك الأزمة - أزمة قرب تسليم يسوع - لم يسلكوا مسلك الحشمة واللِّياقة والتَّواضع، بل كانوا أشبه بأطفالٍ صغارٍ. كانوا يتنازعون حول من يكون الأعظم فيهم)[1].وبعد ذلك (قام عن العشـــاء، وخلع ثيابه، وأخذ منديلاً واتَّـــزر به، ثمَّ صبَّ ماءً في مِطهرةٍ، وأخذ يغسل أرجل التَّلاميذ، ويمسحها بالمنديل الَّذي كان مؤتزراً به)[2].

يقول صاحب كتاب «حياة يسوع» تعليقاً على هذه الحادثة: (وجرت العادة أن يكـــون في مثل هذه الحفلات عبيدٌ يقومون بخدمة غســـل الأرجل، وليس في هذا المكان عبيدٌ ولا إنسانٌ وضيعٌ يقوم بهذه المهمَّة سوى ربِّ الكون)[3].

وبعد العَشاء ذهب يسوع مع تلاميذه إلى ضيعة (جستماني) وقال لهم: (إنَّ نفسي حزينة حتَّى الموت، فامكثوا هاهنا، واسهروا معي. وفي أثناء ذلك هاجمهم (يهوذا الإسخريوطي) بجمعٍ كبير يحملون السُّـــيوف والعصي، وقد (أعطاهـــم علامة قائلاً: الَّذي أقبِّله هو هو، فأمسكوه)[4] فدنا منه، وقبَّله، فأمسكوه.

---

(١) راجع كتاب: حياة يسوع: ص ٣٠٠.
(٢) إنجيل يوحنا: ١٣/ ٤.
(٣) حياة يسوع: ص ٣٠٠. (لاحظ ما في هذه العبارة من تلبيسٍ).
(٤) إنجيل متى: ٢٦/ ٣٦.

وعن سبب خذلان يهوذا ليسوع يقول صاحب كتاب: حياة يســـوع: (... فقد ظنَّ القوم أنَّ يسوع جاء ليشـــيد دعائم مُلكٍ أَرْضـــيٍّ، فطمحت نفس يهوذا كما طمـــح يعقوب ويوحنا إلى مرتبـــة عالية في هذا المُلك، ولكن خـــاب أمله. وكأنَّ (يهوذا) قد أضاع سنيه هباءً في خدمة قضيةٍ عقيمةٍ، وأحسَّ الآن بالكره والغضب نحـــو ذاك الَّذي أقام عليه صرح أحلامه، فيخيب كلَّ آماله)[1].

(١) حياة يسوع: ص ٢٩٧.